دلالة الحيوان في شعر أديب كمال الدين
المجلد السابع انموذجاً

الأستاذ المساعد الدكتور فاطمة عبد الزهرة عبد الجليل العيداني
المديرية العامة لتربية محافظة البصرة

المستخلص

يتناول هذا البحث دلالة الحيوان في شعر أديب كمال الدين ، وكيف استطاع الشاعر توظيف تلك الدلالة للتعبير عن واقعه المعاش ، او ما مرّ به من أحداث في مسيرة حياته ، وبيان أثر الحيوان الواضح في تصوير ما يشعر به من سعادة او ألم ، أو تصوير عبّر به عن قدرته في توجيه شعره بأبداع مقصود مكتنز الدلالة ، كما تمكن بوساطته استشراف عالم الواقع ، والتنبيه لمزالقه والتنبؤ بمستقبله ، ولا تخلو تلك الوقفات من لحظات التشاؤم التي تلوح في خلجات نفسه بين قصيدة وأخرى. وإن استعمال الحيوان في الشعر يفتح للدلالة افاقاً متعددة ، ومتنوعة تجعل المتلقي يتفاعل معها ، وتأخذه أبعادها الدلالية الى تصور ما أراده الشاعر بشكل يفوق الدلالة المرجوة، بهدف إغناء الدلالة وأعطائها آفاقا جديدة ومتجددة.

الكلمات المفتاحية: الدلالة ، الحيوان ، أديب كمال الدين.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/١١/١١ **تاريخ القبول:** ٢٠٢٥/٠١/٠٥

The Symbolism of Animals in the Poetry of Adeeb Kamal Al-Din: Volume Seven as a Case Study

Asst. Prof. Dr. Fatima Abdul Zahra Abdul Jalil Al-Eidani
General Directorate of Education in Basrah

Abstract

This research examines the symbolism of animals in the poetry of Adeeb Kamal Al-Din, focusing on how the poet used this symbolism to express his lived reality and the events he encountered throughout his life. It explores the clear impact of animals in depicting his feelings of happiness or pain, as well as his ability to direct his poetry with intentional creativity, rich in meaning. Through this, the poet was able to anticipate the world of reality, draw attention to its pitfalls, and predict its future. These moments are not without traces of pessimism that appear in his inner thoughts between one poem and another. The use of animals in poetry opens multiple and varied avenues for symbolism, allowing the recipient to engage with it and perceive what the poet intended, often exceeding the expected meaning. The purpose is to enrich the symbolism and provide it with new and evolving dimensions.

Keywords: **symbolism, animals, Adeeb Kamal Al-Din.**

Received: 11/11/2024 **Accepted: 05/01/2025**

المقدمة

ان توظيف الحيوان هو أحد تمظهرات الطبيعة الحية في الشعر ، وقد حفل شعر أديب كمال الدين به ، لما تحمله دلالته في الموروث الشعري من مدلولات واسعة الاثر في المسيرة الإنسانية .

كان العرب قديماً يتجهون بشعر الحيوان أحياناً إلى المقارنة بين ما يمتاز به من صفات مع أخلاقيات البشر [١]، ويسقطون صفات الحيوان الحميدة والذميمة ويشتقون من اسمائها صفات لمن يهجونه أو يمتدحونه بتلك الخصال [٢] ، وعلى العكس من توظيفه في الشعر المعاصر فقد وظفوا الحيوان رمزياً في نتاجهم الشعري ، وحملوه معاني رمزية ، استناداً لما يحمله الضمير الإنساني من خلفيات ثقافية وإرث تأريخي حيناً ، واستثمروا ما يتسم به من سلوك وأوصاف حيناً ، وطبائع غريزية حيناً أخر من أجل خلق صور فنية مشحونة بالدلالات ، القادرة على بعث معانٍ خفية يستعصي التعبير عنها مباشرة.[٣]

لقد تعددت استعمالات دلالة الحيوان في الشعر المعاصر ، وبدوافع ابرزها تتعلق بأسبابٍ سياسية كالخوف من السلطة ، أو غير السياسة [٤]، وجدانية واجتماعية ، وجمالية ، وذلك بهدف أثراء النصوص والارتقاء بها الى أفاق متجددة ، وواسعة تشع منها دلالات ربما تفوق ما أراده الشاعر عند استعمالها.

لذا جاء هذا البحث يكشف ما استكنته دلالة الحيوان في شعر أديب كمال الدين ، ومن المجلد السابع أنموذجاً، بعد أن رأت الباحثة تكرار الحيوان باسمه كثيرا في شعره في هذا المجلد، أو بذكر احدى خصائصه أو صفاته ، ورصدت ما ينثال من تلك الدلالة من معانٍ أسبغت ملامح جمالية فعالة ؛أدت لأن يصبح الحيوان في شعره رمزاً موضوعيا دالا على أنساق معرفية متعددة شكلت بمجملها لوحة شعرية نابضة بما يشعر به الشاعر من احاسيس ، وقد تعبر عن واقع مرّ ،أو سعادة متأملة .

فالشاعر يذكر الحيوان أيضًا لتعزيز الوصف الحسي في شعره، مما يضفي على قصائده أبعادًا وجدانية غنية. فالحيوانات في شعره ليست مجرد كائنات، بل هي تجسيد للمشاعر والذكريات والأحاسيس.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه ، هل وجد الشاعر في ذكر الحيوان وتردده في شعره ،فضلا عن تسمية مجاميع به ك(الحرف والغراب)، وغيرها ، مجالا فنياً للتعبير عن الأحاسيس التي تجول في نفسه ، وهذا ما سأحاول الوصول إليه في هذا البحث متخذة من المجلد السابع أنموذجاً ، وستقوم الدراسة على مبحثين الأول: دلالة الحيوانات الأليفة ، إلا أني أدرجت من ضمنها الفراشة والعصافير مع أنها غير أليفة إلا أنها تندرج من ضمن الطيور . والمبحث الثاني دلالة الحيوانات غير الأليفة وكانت على قسمين ،الأول أدرجت فيه الضفدع والسلحفاة والأسماك ، لأن بعض أنواعها لا تصنف ضمن الحيوانات المفترسة ، ولاسيما ماورد في قصائد الشاعر ، والقسم الثاني كان للحيوانات المفترسة.

المبحث الأول :

دلالة الحيوانات الأليفة

أولاً: أ- الطير:

تُعد الطير بأنواعها المختلفة من أكثر الرموز شيوعاً في الأدب العربي ، ولاسيما الحديث منه ، فقد ارتبط به الشاعر العراقي ارتباطاً يتمثل بعلاقة المبادلة والاتحاد معها ، وذلك للتعبير عن مشاعره المكبوتة في أعماقه من خلال الانحياز لها ؛ لكونها كائنات ضعيفة ، مُعتدى عليها من قبل الانسان ، من خلال الممارسة القاسية بحقها.(٥)

تردد ذكر الحيوانات الأليفة في شعر أديب كمال الدين ، وبخصوص ذكر الطير باسمه دون تخصيص ، واحيانا بذكر الطير بنوعه كما في قصيدة (صقر ، بلبل ، حمامة)، واحيانا اخرى يذكر خصيصة من خصائصها من دون التطرق الى نوعه كما في قصيدة (قصيدة ذات أجنحة) وذلك ليكون المتلقي هو المتخيل لذلك الطير ، على وفق سياق القصيدة ، أو ربما لحاجة الشاعر لهذه الصفة المتأصلة في الطير عامة من دون تخصيص ، ليشعر بكل ما يشعر به المتحرر من أثقاله وهو يحلق في سماء الحرية أو السعادة التي تنتاب الإنسان ، وهو يطير في سماء الوجود ، لذا نجد بعض قصائده قد حملت هذا العنوان:

ففي (قصيدة ذهول) يقول:

الذي اخترعَ النّومَ كانَ عبقريّاً حقّاً.
ففي كلِّ مرّةٍ أذهبُ إلى النّوم
أجدُ نَفْسي وقد تحوّلتُ إلى طائر
فأشعرُ بالسعادة.
وحينَ أستيقظ
أجدُ نَفْسي وقد تحوّلتُ إلى شجرة
فأشعرُ بالدفء.
لكنْ حينَ أتناولُ فطوري،
و أنا أشاهدُ التلفزيون
يعرضُ مصائبَ الكونِ الكبرى
الواحدةَ بعدَ الأخرى،
أشعرُ بأنّي إنسان
فينتابني الذُّهُول.(٦)

فالشاعر يجد نفسه ، قد تحول إلى طائر في أثناء نومه تعبيرا عن رغبته بالشعور بالسعادة ، وكأن السعادة التي يطلبها الشاعر لم يشعر بها في الحقيقة ، فراح يطلبها في أحلامه .فكان الطائر رمزاً لها فهي سعادة غامرة يحلق معها الشاعر في السماء.

أو ربما تكون السعادة صعبة المنال كما في قصيدة (أن تطارد وهماً) ، والتي يقول فيها:

وإذا طاردتَ وهمَ الفرحِ،

أعني وهمَ الطائر،

فالطائر سيضحكُ منك

فهو مُعلَّقٌ في السّماء

يُصفّقُ بجناحيهِ السّعِيدَين،

و أنتَ تُحدّقُ فيهِ بعينين مُتعَبتَين

حيناً، وحيناً آخر

ترجعهما إلى دفترِكَ المُمزَّق

لترى كيفَ ستكمل قصيدةً تطاردُ وهماً

من حُبٍّ أو وطنٍ أو طائر

ليلَ نهار. (٧)

فجعل الطائر رمزاً للفرح المتمثل بالحب والوطن ، وذكر اسم الطير مطلقاً من دون تخصيص لنوعه ،ولتكون السعادة التي يطلبها عامة ، فهو المشتاق والمتلهف للحب أو الوطن الذي فارقه ، مع ذلك فهو يشعر بالإحباط عندما يرى الفرح المرجو سيضحك منه ، وهو يحدق فيه بعينين مُتعبتين حيناً، وحيناً آخر يرجعهما الى دفتره الممزق من شدة الأمنيات، والأوهام التي يكتبها بلا جدوى، وكأنه يطارد وهماً.

وفي قصيدة

(إلى الأعالي) ، والتي افصح فيها عن دلالة الطائر ، فهو طائر الحب: يقول فيها:

يُقالُ إنَّ طائرَ الحُبِّ طائرٌ مُلوّن

يطيرُ دائماً إلى الأعالي،

إلى الأعالي

حتّى لا يرى ظلَّ جناحيه على الأرض. (٨):

فقد أضاف الى الطائر صفة اللون ، ومن خلال الفعل (يُقال)، انبعثت دلالة الحرمان التي يبدو من خلالها أن الشاعر لم يعرف هذا الطائر أو يره ، فهو بعيد عن مرآه ، فيمكن القول إن الطائر قادر على أن يمنح الشاعر مجالا للحديث عن مشاعره المحبطة إزاء الاشياء التي لا يمكنه الحصول عليها(٩)، فالفرح والسعادة التي راح يطلبها أو يتمناها في أحلامه بعيدة المنال محلقة في جو الامنيات المستحلة ، فلا يرى ظلها في أرض الواقع. فالكلمات تتسيد وسائل التعبير عما يختلج أذهان البشر من معانٍ مزدحمة ،وعن طريقها يمكن التعبير عن المعاني المستترة وإخراجها إلى عالم العلانية والظهور .(١٠)

وفي قصيدة (صدأ) ، وهو يجري حواراً مع حرفه، نجد الطائر في هذه القصيدة هو الحلم الضائع الذي يتمنى الشاعر أن يتحقق من بين أحلامه الكثيرة ، فيقول فيها:

قالَ لي حرفي:

ليتني أشرقُ في قلبِكَ

ليتحوّلَ إلى لؤلؤةٍ.

قلتُ: وماذا أفعلُ بها؟

قال: ليتني أشرقُ في لؤلؤتِكَ

لتتحوّلَ إلى حُلْمٍ.

قلتُ: وما أكثر أحلامي!

قال: ليتني أشرقُ في حُلْمِكَ

ليتحوّلَ إلى طائر.

قلتُ: وما أكثر طيوري! (١١) .

اذن الطائر هو الحلم المشرق الذي يرنو إليه الشاعر ، وما أكثر تلك الأحلام التي يتمنى أن تشرق في تعجب من قبله ، ليشير إلى استحالة اشراقها . ليبدو حلمه من خلال الحوار بعيد المنال ، فلا غرو أن نقول انه يقف طويلاً أمام قصيدته كي يستطيع استخلاص عصارة فكره ، وتجربته واحساسه؛ ليترجمه على شكل كلمات مكثفة الدلالات تشع من خلالها وميض معرفته ، وقدرته على صنع الحرف في معزوفة قليلة الألفاظ فائضة بالمعاني والدلالات لتأخذ القارئ إلى عالمه الخاص، ليعيش معه لحظاته وأمنياته ،وهنا تكمن قدرة الشاعر في توظيف الكلمات.

كذلك نرى الشاعر في قصيدة (أقسى من الحجر)، يقول:

على غيرِ عادةِ الحُبّ،

وعلى غيرِ عادةِ المُحبّين،

بدأتِ قصّةَ حُبّنا بكلماتِ الوداع،

وكانتْ- وا أسفاه- كلمات من الحجر.

حتّى إذا مرَّ أربعون عاماً

من النفي على شاعرِ الحرفِ والنّقطة،

وتصدّعتِ الذاكرة

وتاهتْ طيورُها وأحلامُها وقُبُلاتُها ونجماتُها

نجمةً إثْرَ نجمة

دونما رحمةٍ أو أَثَر.

جئتِ تقولين:

"أنتَ حبيبي، [١٢]

وهنا نرى نبرة الحزن واضحة تعلو فيها ، فحبه على غير ما اعتاده المحبين بدأ بالوداع القاسي ، فبعد مرارة النفي ، تصدعت ذاكرته ، وتاهت طيورها المتمثلة بذكرياتها عن حب وطنه واشتياقه له ، فاستعمال كلمة الطيور أعطت بعداً دلالياً أوسع في ايصال فكرة تشتت الشاعر في غربته من دون رحمة أو أثر ، فكل الحب ذهب مع قسوة ما مرّبه ، وهذا يوضح ما كان يشعر به في المنفى: ((فالمنفي يعيش في حالة وسيطة ، لا ينسجم تماماً مع المحيط الجديد ، ولا يتخلص كليّاً من عبء البيئة الماضية))[١٣]

وفي قصيدة (الشاعر الذي يُولدُ كلّ يوم): يقول:

أحبُّ الحرفَ الذي ليسَ بحرف

ولا يشبهُ الحرف

بل يشبهُ طائراً حلّقَ بسرِّ السّعادة

مثلَ ومضةِ البرق

ثُمَّ اختفى في بحرِ الظلام.

ذلك هو حرفكِ، [١٤]

وفيها شبه حرفه الذي يحبه بالطائر الذي يحلق في سماء السعادة ، فلا يخرج الشاعر من ربط السعادة بالطائر الذي انمزجت دلالته بها، وجاء الفعل حلق ليعطي تلك المساحة لها ، والتي أعتبرها الشاعر الفضاء المراد ليشعر بها ، لأنها في كل مرة تصطدم بالحقيقة : (ثُم اختفى في بحر الظلام). مع ذلك لا يمكننا الإحاطة بما يطرحه الشاعر من رؤى وأفكار عن حرفه أو الحياة أو عن الأخرين ولا حتى عن ذاته وذلك لاتساع تجربته[١٥]

وفي قصيدة : (صديقي دارون) لم يتعد الطائر الدلالة على السعادة المرجوة ، ورغبته في الشعور بها يقول الشاعر:

يصرُّ صديقي داروين

على أنَّ أصلَ الإنسانِ قِرد،

وأصرُّعلى أنَّ أصلَهُ طائر!

هو يُحدّثني عن الجيناتِ والانتقاءِ الطبيعيّ

فأحدّثهُ عن الشِّعرِ والخيالِ الشِّعريّ.

هو تنتابهُ السّعادةُ دائماً

و أنا تنتابني الشّكوكُ أبداً.

ولذا أتسلّقُ كلّ يومٍ غيمةَ قصيدتي

مُحاولاً الطيرانَ كطائرٍ حقيقيّ

أوكطائرٍ خياليّ

كي تنتابني السّعادةُ مثله

ولو مَرّة واحدة! [١٦]

فتمني السعادة ولو مرّة واحدة ، ومحاولته الطيران أعطت بعداً دلالياً بذلك الحزن الدفين الذي ينتاب الشاعر ، حتى أن الشكوك تنتابه في الشعور بها ، ولو لمرة واحدة لذا يمكننا القول: ((إن للشاعر أديب كمال الدين قدرة فنية جليّة مكنته من الابداع في رسم الصور البيانية والبلاغية الرائعة التي تترك أثرها في نفس متلقيها ، فهي تتراوح بين السلاسة والوضوح وبين الغموض نوعاً ما ، وهذا ماله أثر الواضح في رسم الصور الدلالية والبلاغية التي تثري النص))[١٧]

وفي قصيدة (حتى ناداني الحرف باسمي)، يقول:

في حُبّكِ

عبرتُ جبلَ الجمرِ

و أنا أطيرُ بجناحين من دموعٍ

وقلبٍ لا يعرفُ غيرَ الهذيان

وحروف الهذيان.. [١٨]

ونجد الحزن واضحا ، عندما يذكر جزءاً من الطائر وهما الجناحان الا أنهما من دموع .فهو يطير بهما

فحذف الطائر وذكر شيئاً من لوازمه ، وفي ذلك دلالة على أن سعادته لم تكن موجودة ، وكأنها ضاعت مع ضياع اسمها ، فلم يعد يملك منها الا جسداً يطير مع الحزن ، وقلباً لا يعرف غير الهذيان ، فقصائد الشاعر تمتلئ بالدوال التي تشرع نوافذها على مشاعر المتلقي ، وتجعله يتفنن في تصورها ، فالحروف والألفاظ تبعث فينا الدهشة بما تحفل به من تألف بين الفن والواقع. [١٩]

وفي قصيدة:(تماسكي أيّتها القصيدة)، يقول:

فحروفُكِ هي الوحيدةُ التي تُنيرُكو ابيسي،

وتشعُّ الدفءَ في سريري،

وتعينُ الرّوحَ في دورانِها

حولَ نَفْسها

كلّ ليلةٍ كالطيرِ الذّبيح. [٢٠]

نرى الشاعر اضاف صفة الذبيح الى الطائر ، وفي ذلك دلالة على سعادته المذبوحة ، فروحه هي تدور كالطائر الذّبيح ، إشارة إلى الالم الذي يشعر به .هنا قد منحت دلالة الطائر مجالاً للشاعر للحديث عن حلمه المذبوح وروحه التي تدور حول نفسها ، كالطائر الذبيح ، ليبين حجم الألم الذي يشعر به ، ويحاول أن يتخلص منه هذا الطائر الذبيح ، ولكن لا خلاص في نهاية .

أما في القصيدة التي حملت عنوان (قصيدة مهشمة) فقد ذكر الشاعر الفعل (تطير) من دون ذكر الطائر ، يقول فيها:

قصيدة مُهشَّمة

الدموعُ قصائد منسيّة.

القصيدةُ انتهت،

ولم تكنْ سوى ثلاث كلمات!

*

أن تطيرَ فلا تستيقظَ من الطّيرانِ أبداً،

تلك لوحة سعيدة،

لا يعرفُها إلّا مَن حاولَ الطّيران

مِن دون جناحين أو يدين. (٢١)

فدلالة الطيران لم تتعد السعادة ، ففيها يرى الشاعر أنه يتخلص من الدموع والأحزان ، وإذا كان بلا جناحين أو يدين ففيه إشارة إلى التخلص من أي شيء يثقله أو يعيق سعادته. إن الشاعر عندما أختار عنوان القصيدة (قصيدة مهشمة) ، يرسم لنا بوضوح ما كان يعانيه في غربته ، وروحه التواقة للسعادة المنبثقة من رغبته بالطيران بلا جناحين ، لتذوب نفسه في سماء الوجود بلا قيود أو أثقال .

فالشاعر غالباً ما يذكر الطائر كرمز للحرية والتحرر من القيود الأرضية كما يمكن أن يمثل أيضًا الروح الطائرة التي تبحث عن معنى أو غاية أعلى.

وفي قصيدة(أخطّ قصائدي بدمي)، يقول:

قالَ لي حرفي:

هل علّمكَ الحبُّ

أن تطيرَ من دون جناحين؟

أو تمشي فوقَ الماء؟

قلتُ:

بل علّمني

أنْ أخطَّ قصائدي بدمي

على جدارِ العبثِ

ليلَ نهار. (٢٢):

كذلك هنا ذكر فعل الطيران ، و هو في حوار مع حرفه ، وقد سأله عما علمه الحب وهل طار بلا جناحين ، لتبقى دلالة الفعل في تساؤل الحرف هي السعادة المتمثلة في الطيران ، فالمحب تطير روحه فرحاً كالطائر بلا جناحين ، فلا يوجد ما يعيق الروح عندما تذوب في معشوقها .إلا أن الشاعر لم يلحق في سماء السعادة وبقي يخط قصائده بدمه؛ ليفصح فيها عن ألمه ليل

نهار، فالشاعر دائما ما يفجر الطاقة الكامنة للغة من خلال النقطة والحرف ، لانهما خط الشروع لحركة اللغة في فضائه الشعري الذي يطير فيه بجناح الخيال [٢٣]

ونجد الشاعر في قصائد أخرى يحدد نوع الطائر من خلال ذكر اسمه ، وربما أراد من ذلك تحديد الدلالة لما يُعرف عن صفات هذا الطير . ففي قصيدة (سؤال خطير)

يذكر العصافير.

ب-(العصافير) :

سؤال خطير

صاحَ بي اليوم أحدُ المجانين،

سأسألكَ السؤالَ الخطير:

أترقصُ العصافيرُعلى الشّجرةِ أم تطير؟

صاحَ بي،

وهوَ يحاولُ أن يرقصَ مَرّةً

ويطيرَ مَرّةً أخرى! [٢٤]

فمن خلال السياق تبدو أن دلالة العصافير لم تتعد معنى السعادة والحرية ، من خلال سؤال أحد المجانين ، فهو سؤال يبين من خلاله للمتلقي أن السؤال عن الحرية والسعادة ، سؤال لا يجرأ عليه الا المجانين ، وكأنّ السعادة والحرية شيء ممنوع السؤال عنه حتى، فالتحرر والحرية التي يطلبها الشاعر هي حرية الروح التي لا تجد السعادة إلا في السماء ، واقترابها من خالقها ، وهذا ما يحاول أغلب الشعراء المتصوفين أن يعبروا عنه في اشعارهم.

ج- الفراشة

وفي قصيدة (ومضيتُ سعيداً) يذكر (الفراشة) يقول فيها:

ينفقُ بعضُ الشّعراءِ حياتَه

ليكونَ مِسْخَ طاغيةٍ أرعن

أو مُزوّرَتأريخٍ أسود

أو شتيمةً غبيّة

أو ليكونَ كازانوفا النّساء

أو فراشةً مُلوّنة

أو ليكونَ ما يكون. [٢٥]

نجد الشاعر اتخذ من الفراشة رمزاً المهتم بهندامه ، ولاسيما أنه أعطى الفراشة صفة كونها ملونة ، وفي الوقت نفسه يمكن أن تدل على الشخص المتلون والمتملق في شعره ، لمن يكتب له قصائده ، ولاسيما أنه بيّن أصناف الشعراء في القصيدة ،

فتوظيف الفراشة أعطى بعداً دلالياً غير متوقع فيما لو استعمل الصفة الصريحة، فكثف الدلالة ، وجعلها تتشظى مع معطيات الواقع .لذا على قارئ قصائد الشاعر أن اعادة قراءتها مرتين أو ثلاثاً حتى تفصح لك عن مكنوناتها ، وقد تبخل فلا تفصح إلا عن النزر القليل ولو أعدت قراءتها لمرات عدة [٢٦]

وفي قصيدة (قصيدة ذات أجنحة) ، يقول:

كلّما فتحت الفراشةُ جناحيها

وهي تمتصُّ رحيقَ الزّهرة،

امتصّت الحروفُ ذاكرتي

لتصيرَ قصيدةً ذات أجنحة. [٢٧]

هنا يمكن القول بأن دلالة الفراشة قد تماهت في تصورات الشاعر ، في مقارنة دلّت على تماهي الشاعر، ورغبته في الطيران والفرح في عوالم حروفه ، وقصائده التي استعار لها أجنحة ، وكأنها فراشة تحاول ان تخترق الذاكرة للتحرر منها ، فقد بدأت قدرة الشاعر في رسم المشاهد إلى مستوى عالٍ من المثالية، فهو يخلق آفاق رحبة من الجمال في خلق جو متصور ، بلغة بسيطة ، وتعابير متداولة ، ولكن الشاعر أستطاع توظيفها بشكل فني رائع ف(مشاهد الحيوان تدخل في فن الوصف الذي جمع جماليات الشعر بوصفه موصولاً باللغة والحياة ، وتخيل ملامح الواقع على مدى الحلم الواسع)[٢٨]

وفي قصيدة للفرح ، يقول:

أعطني حرفاً

ونقطةً

وقلباً مَليئاً بأحلامِ الصِّبا،

وسأعطيكَ قصيدةً

تطيرُ منها الفراشات

طوالَ النّهار. [٢٩]:

إما دلالة الفراشات في قصيدة (للفرح)هي السرور والفرح ، فالشاعر قد أَلِفَ الحرف والنقطة ، فهو شاعرهما ، وعندما يطلق له العنان لينسج منها قصائده ، يجعل الفرح يتطاير منها ، فهي وسيلته في بث مشاعره وأحاسيسه التي تجد نفسها ، وهي هائمة في سماء الملكوت .

وفي قصيدة(محنة) ،يقول:

يا لها مِن مِحنة؛

أن تملكَ روحاً كجناحِ فراشةٍ مُلوّنة

في زمانِ الخفافيش. [٣٠]

نجد دلالة الفراشة جاءت كناية عن الروح الرقيقة والنقية في زمن الخفافيش المختبئة في الظلام والتي تحمل دلالة القبح والخبث والخيانة ؛ لان الخفاش من طبعه الزنا والخيانة ، ويوصف بالسرقة[٣١]

د-الحمامة

بات من المعروف أن الحمامة هي رمز الشوق والحنين والسلام [٣٢]، واتخاذها رمزاً جاء في ضروب الشعر العربي، متعددة الجوانب كثيرة الأصول والفروع. ذلك بأن الحمامة رمز للمأوى ورمز للنظر ورمز للخصوبة والأنوثة والوداعة ثم هي رمز للحزن، والشوق والصبابة والبكاء.

وفي قصيدة (حياة في قنينة) ، أفصح الشاعر عن دلالة الحمامة فهي رمز السلام المتناهي الذي يطير به إلى الملكوت الأعلى بعد أن عرف معنى الحب الإلهي ، وفهم معنى السماء وعظمتها ، وعظم خالقها . وفي ذلك دلالة على تحرر قلبه وذوبانه في الطيران الى المجهول بعد أن كانت الحياة ضيقة، وكأنها حياة في قنينة .فدلالة حب السلام والذوبان في ملكوت الخالق والتحليق إليه أبداً هي التي أرادها الشاعر ، لذا يمكننا القول : إن استثمار صورة الحمامة بسماتها ، ودلالتها كشف عن جوهر الواقع المعاش وخفاياه عند الشاعر ،و عن رغبته في التحرر والطيران بسلام.

من قصيدة (حياة في قنينة)، يقول:

فهمتُ معنى السَّماء،

معنى زرقةِ السَّماء،

حتّى أصبحَ قلبي حمامةً بيضاء

تطيرُ أبداً إلى المجهول. [٣٣]:

وفي قصيدة (سفينة نوح)[٣٤]:

ورد ذكر الحمامة والغراب، وكلنا يعرف قصة الغراب والحمامة في قصة سيدة نوح عليه السلام ، وهو الدافع الذي حمل الشاعر على توظيفه دالاً يتعلق بالجذر بالديني والمعتقد الشعبي ، فالغراب يظهر رمزاً لفراق الأحبة والشؤم، وسمي ب(غراب البين) ؛ لأنه بان واغترب عن نبي الله نوح عليه السلام ، وليس شيء مما يزجرونه من الطير أو الظباء أنكد منه.[٣٥]

فهو يقول في قصيدة (سفينة نوح):

تحتَ ردائي المُمزَّق

يتصارعُ الغرابُ والحمامةُ ليلَ نهار.

أكانَ ردائي البحر

أم كانَ جسدي سفينة نوح؟

فهنا نرى أن الشاعر كنى عن الغراب والحمامة عن التشاؤم والحب والسلام . ، وهي الرغبة في انتصار احدهما ، فجعل صراعهما تحت ردائه الممزق كناية عن حالة من الضياع والتشتت ، مستغرباً، هل كان رداؤه البحر ، حتى يكون الصراع تحته أم جسدته سفينة نوح ، فقد يبحث في توظيفه سفينة نوح عن الأمان والسلام . إن صورة الحيوان المتمثل بجانبيه

المتناقضين ، استطاع الشاعر توظيفه للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه ورغبته في السلام بعد أن وجد أن صراع المشاعر وتناقضها في نفسه مدعاة للتساؤل والتعجب.

وفي قصيدة (أم كلثوم) يقول:

يا كوكبَ الشّرق،

يتدرّبُ الحرفُ على الطيران

عندَ كلّ قصيدة:

مَرّةً بلبلاً،

مَرّةً حمامةَ شوقٍ،

وثالثةً طائراً لا اسمَ له،

ورابعةً يتحوّلُ الحرفُ

إلى جناحٍ عظيم

يملأُ الشّرقَ والغرب.

فإذا اكتملتْ صيحاتُ حُبّكِ

و أيقظتِ الرّوحَ من موتها

والقلبَ من زلازلِهِ المُزمنة،

تحوّلَ الحرفُ كلّه

إلى سماواتِ سِحرٍ

تبدأُ من النّيل

ولا تنتهي في الفرات.[٣٦]:

فهنا الحرف عند الشاعر يحمل معنى الحب والشوق والحنين هو سر الوجود عنده والذي يتحول مع أغنيات أم كلثوم إلى بلبل مرة يغرد مع عذوبة صوتها، أو حمامة سلام تجوب العالم بالحب أو جناح عظيم، من دون أن يذكر نوع الحيوان ، ليحمل معه الدلالات العميقة ولتنبثق منها الايحاءات المتخفية وراءه من أن الجناح يمكن أن يملأ الشرق والغرب .

ويتحول الى سماوات السحر ، وكما قال الناقد الاستاذ صالح الطائي عن الشاعر : ((كمثل الصائغ المبدع يمكن أن يصنع حروفاً تتزيّن بها الجميلات ، ولكن نادراً ما تجد شاعراً يصنع حروفاً من سحر تزّين عقول النّاس))[٣٧]

هـ-الطاووس:

وهو من الحيوان التي تتميز بجمال ريشها ، ومن صفات الطاووس أن يمشي متبختراً وقد ورد ذكره في قصيدة: (أيّ حقيقة تخفيها في أعماقك؟) ، يقول:

سألتُ البحر:

أيّ حقيقةٍ تخفيها في أعماقِكَ

أيّها الطّاووس العظيم؟

ضَحِكَ البحرُوقال:

أنا لا أخفي حقائقَ أو أوهاماً

بل أخفي سمكاً وصخوراً وطحالب،

أخفي سفناً غرقى

وعظامَ صيّادين ومغامرين ومهاجرين.

وأخفي أمواجاً من غضبٍ مكتومٍ عارم.

فهل اقتنعتَ بجو ابي

يا هذا المهووس بجمالي؟

صَمتُّ طويلاً.

فالبحرَقالَ الحقيقةَ عاريةً

من دونِ رتوش، (٣٨)

هنا الطاووس أخذ بعداً دلالياً ، بيّن من خلاله الشاعر جمال البحر وانعكاس الألوان فيه ، وتموجه ، كأنّه طائر الطاووس وهو يتمشى متبختراً بذيله الجميل ، فجعل من الدلالة مشحونة بكل تفاصيلها من الجمال والتبختر والغرور ، والعظمة .

و-اللقلق:

ورد ذكره في قصيدة (محنة اللقلق)، يقول:

حينَ بنى اللقلقُ عشّاً

انتظرَحبيبته طويلاً دونَ جدوى،

ثُمَّ أوصى القمر

بأن يهتمَّ بعشِّهِ المهجور

لكنَّ القمرَقَهْقَهَ كثيراً

وهو يقفزُ ما بين الغيوم. (٣٩)

طائر اللقلق ينظر إليه المسلمون على أنه طائر ورع يتوشح بالبياض مثل الحُجاج ، ويقبع في أعلى المآذن ، وقد استعمل الشاعر اللقلق تعبيراً عن المشاعر والاحاسيس المكبوتة عندنه ، وهنا شبه محنته بمحنة اللقلق ، وهنا أعطى للّقلق دلالتين ، دلالة الحزن بانتظار الحبيب، فهو المهاجر البعيد عن وطنه ، وقد شبه مشاعره بهذا الطائر الذي بنى عشه ، وبعد طول انتظار تركه مهجوراً لكنه أوصى القمر ، الذي لم يكن الحارس الامين عليه ، فتركه وقفز. والدلالة الأخرى هي دلالة المحب

المفارق لمحبوبه ، الذي ينتظره بلا جدوى. فالدلالتان حملتا في طياتهما البعد والفراق وطول الانتظار . فالشعر وسيلة من وسائل البيان ، ومعرض من معارض البلاغة .

ثانياً: الحصان

اقترن ذكر الخيل عادة بالوقار والجرأة ، والفتوة والشباب مما جعله صورة للإنسان المثالي ، فهو شريك الفارس الأول في فرحه وحزنه ، ومرارة هزيمته ، لهذا الصلة بين العربي وفرسه فقد آثره على أهله وأولاده ، إلا أن حصان الشاعر كان عجوزا بلحية حمراء ، فقد أضفت تلك الأوصاف على دلالة الحصان دلالة متشعبة من حيث العجز ، وعدم القدرة على الجري فهي دليل الضعف والوهن ، ودلالة لون اللحية الاحمر على التعب والمشقة وربما الموت والحرب ، وتقول العرب موت أحمر للدلالة على هول الموقف وشدته. في قصيدة (حصان عجوز بلحيةٍ حمراء) يقول الشاعر:

كنتُ طفلاً

حينَ رسمتُ حصاناً عجوزاً بلحيةٍ حمراء.

حدّقَ مديرُ المدرسةِ طويلاً في رسمي

دونَ أن يَنبِسَ ببنتِ شَفَة.

وضَحِكَ مُعلّمُ الجغرافيا وقال:

في أيّ البلدان

يعيشُ هذا الحصان؟

وسَخِرَ مُعلّمُ التاريخِ وقال:

ينبغي أن يكونَ الحصان

قويّاً لفارسٍ بطلٍ مغوار.

أمّا مُعلّمُ الرّسمِ فهَمَسَ بإذني:

ليتَ حصانكَ يرقص

ليملأَ حياتَكَ

بشمسٍ مُشرقةٍ ليلَ نهار. [٤٠]:

يبدو أن الشاعر في هذه القصيدة أراد إن يبين صفة سلب الحلم ؛ لأن الحصان معروف بجموحه واندفاعه ، وتبدو رسمة الشاعر استشرافاً لمستقبله من اليأس والضعف ، وكأن معلم الجغرافيا وتغير موقعه عن بلده ، وبعده عن تأريخه الراسخ في بلده العراق جعل معلم الجغرافيا يضحك ومعلم التأريخ يسخر مما حدث ، ليكن التمني وحده قادراً على استثمار قدرات الحصان المفحم بحيوية الشباب وطموحه لتشرق الشمس. لذا لا غرو أن نقول أنه توظيف دلالة الحصان ، جعلها تتشظى في زمني الحاضر والمستقبل ما بين دلالتي الضعف واليأس والطموح واستثمار قدرة الحصان الجامحة في تجسيد رغبة الذات في تحقيق ذلك الحلم.

هذا تأويل للقصيدة، لكننا اذا قرأنا القصيدة بعيون الشاعر: الطفل الذي رسم الحصان فسنجد رسمه للحصان كان بمواصفات سريالية تماماً عجز عن فهمها كليا معلم الجغرافيا ومعلم التأريخ. وكان معلم الرسم هو الوحيد القريب من الفهم الصحيح للرسم هذا، فكان أن طلب من الشاعر: الطفل أن يذهب برسمه إلى الأقصى: أن يجعل الحصان يرقص! نعم يرقص لتكتمل عند الطفل حرية الإبداع والفن واللعب. أليس الفن في اصله هو اللعب؟

المبحث الثاني: اولا: دلالة الحيوانات غير الأليفة

أ-السلحفاة :

ومن المعروف ان السلحفاة تستعمل للدلالة على البطء في السير ، ولها دلالات أخرى في علم الآثار، وعند العرب قديماً . إلا أن الشاعر استعملها في قصيدته مع قرائن جعلها تعطي دلالات متموجة مع كلماته في قصيدة، ففي قصيدة (سلحفاة في بئر)، يقول:

في الحُلْمِ

رأيتُ سلحفاةً تسبحُ في قعرِ بئر.

وحينَ استيقظتُ احترتُ:

أأكتبُ عنها قصيدةً من طين

أم أرسمها لوحةً من ماء؟ (٤١)

فعندما قرن السلحفاة بالبئر ، حدد مدلول الخصب والنماء ؛ لأن السلحفاة تعيش في المياه الجارية والواسعة والمفتوحة ، وكانه حَجم تلك الدلالة بالنماء المحدد أو الحلم المقيد والبعيد ، ولاسيما أن السلحفاة في قعر البئر ، وفي ذلك إشارة الى قلة الماء أو انعدامه ، لذلك ذهب متسائلاً في سؤال تصوري هل يكتب قصيدة من طين أم لوحة من ماء. فيها الأماني مقيدة ، ومازال حرفه في الطفولة.

وأراد أن يختصر تلك المرحلة بعبارات قصيدته والتي تدل في مخزونها على دلالات متشظية ، قد أبدع فيها الشاعر، ودلّ واوجز ، وجعل القارئ يميل مع كل دلالة بشعاعٍ من فكر يطول .

ب-الضفدع:

من المعروف أن الضفدع يرمز للتحول والتغير، ويمكن أن يكون رمزًا للبحث عن الذات والتحولات الداخلية التي يمر بها الإنسان. وهذا ما أراده الشاعر من التغيير الذي يدعو إليه ، وليس التقليد والنسج على ما قد ألف غيره من القصائد ، ورأى في ضفدع دلالة التغير ، والسعي إليه في القفر والبحث عنه ، وقصيدة الشاعر يمكن أن تسمى بقصيدة الوامضة فقد انتهى بحكمة قصيرة أراد الشاعر ايصالها عن طريق السؤال في الخاتمة :((حيث تشكل خاتمة الومضة بؤرة انفجارية مدهشة تفارق بقية عناصر بنية الومضة الحافلة بالإيحاء)(٤٢) ، لأنها أي الخاتمة: ((قاعدة القصيدة واخر ما تبقى منها في الأسماع، لذا فخاتمة قصيدة الومضة تمتاز بعنصر لا يجيد استخدامه إلا الكتاب المهرة والأدباء الأذكياء)). (٤٣)

وفي قصيدة (ضفدع باشو) يقول فيها :

ضفدع باشو

كتبَ باشو اليابانيّ قصيدته الوامضة

عن الضّفدعِ الذي قفزَ إلى البركةِ الهادئة.

فجاءَ من بعدهِ آلافُ الشّعراء

ليكتبوا قصائدهم الوامضةَ كما فعلَ باشو.

أَما كانَ الأجدربهم

أن يقفزوا إلى البركة

ليكتشفوا ومضةَ الحياةِ كما فعلَ الضّفدع؟ [٤٤]:

يبدو أن الشاعر يطلب من الشعراء أن يجربوا الحياة، وأن يقفزوا إلى بركتها ليعرفوا أسرارها بأنفسهم ،فيبدعوا شعرا حقيقيا متفردا لا أن ينسخوا قصائد سواهم من الشعراء بطريقة بائسة!

ج-الاسماك :

المعروف أن الاسماك تدل على الخصب والنماء، فهي رمز للخصوبة بما تنطوي عليه من معنى عضوي وجسدي وإيروتيكي في آن واحد [٤٥]

ذكر الاسماك في قصيدة (كأنّني لم أسمع بذاكرتي)، يقول:

البحرُذاكرتي

والأسماكُ ذكرياتي.

تكاثرتِ الأسماكُ حتّى مَلأتِ البحر

من أقصاه إلى أقصاه،

وحتّى صاحَ البحر:

أنقذْني مِمّا أنا فيه! [٤٦]

فتوظيف الاسماك هنا دلالة على الكثرة ، فتزاحم الذكريات في ذاكرته ،كان من الكثرة مما لا يمكن للبحر أن يسعه ، وفيها صورة ذهنية جميلة وتشبيه رائع ، فالذاكرة مع عظمها لم تسع الذكريات ، فقد عبرّ عن ذكرياته وهو مازال يحتفظ بها ، رغم ان ذاكرته لم تعد كما كانت .

وقد ورد ذكر صوت الاسماك والسلحفاة معا في قصيدة (آلة لصيد الاحلام السعيدة) ، يقول فيها:

في البئرِالقديمة

ثمّةَ صوت لشيءٍ يلبطُ ليلَ نهار.

قيلَ هوَ صوت سمكةٍ كبيرة،

وقيلَ هوَ صوت سُلحفاة،

وقيلَ هوَ صوت جُثّةٍ

تريدُ العودةَ إلى الحياة.[٤٧]:

هنا لم يستعمل الشاعر دلالة الحيوان ، وإنما دلالة صوته فقد ذكر البئر القديمة للدلالة على الزمن الماضي ، و صوت السمكة دلالة على رغبته في الوجود ، والخصوبة والنماء ، وفي صوت السلحفاة دلالة على بطء تحقق تلك الرغبة ، لتنتهي تلك الامنيات مع الجثة التي لا صوت لها في الأصل، و مع وجود هذه الدلالات المتوالية ما بين الرغبة والبطء والانعدام ، بينت رغبة الشاعر في الحياة على رغم من تلك الانكسارات التي حدثت له في الماضي.

ثانياً: الحيوانات المفترسة

أ: الكلب

ذكر الكلب في قصيدته (حديقة حُلمية)[٤٨]:

لم يرد الشاعرُ الكلبَ بهيئته الجسدية ، وسلوكه ، وإنما أراد أن يبين أنه في عالمه المثالي ، وحديقته التي يحلم بها، وقد سكتت فيها جميع الأصوات ، ولم يعد كلبه ينبح ، ولاقطته تموء، ولا قرده يقفز، فهي دلالة على السكينة والهدوء ، وأحلامه البيض، أو ربما على أمنياته التي لم تتحقق رغم أنه يحلم بذلك ، وربما روحه النقية مازالت تحلق في السّماء كلها أمنيات في تلك الحديقة التي يحلم بها ، ومع ذلك بقي الحذر واجبا متمثلا بأسده الذي بقي حذراً في غربته ، فلم يرد عليه سوى غزاله، وقد أعطته القصيدة صفة الجريح دلالة على تبدد أمنيات الشاعر الجميلة التي مازالت جريحة متألمة في غربته منذ سبعين عاماً ، ولازلت تنزف ، وفيها يقول:

(حديقة حُلْميّة)

في حديقةِ حُلْمي

لا أرى كلبي ينبح

ولا قِطّتي تجيدُ المُواء

ولا أرى قِرْدَي

يقفزُ من شجرةٍ إلى أخرى

من أجلِ الموزِ أو سواه.

بل أرى أسدي الغريب

يمشي بحذرٍ شديد

قربَ حافّةِ النّهر،

وطيوري البِيض

تُحلّقُ عالياً في السّماء.

فأصيحُ بها: إلى أين؟

فلا تردُّ عليَّ أبداً.

الذي يردُّ،

ويردُّ بخيطِ دماء،

هو غزالي الجريح

راكضاً دونَ جدوى

منذُ سبعين عاماً أو تزيد.

فاستعمال الشاعر دلالة الحيوان المتنوعة في هذه القصيدة ، أعطت مساحة لوجود دلالات مشحونة بأحلامه ، ما بين الأمان والهدوء والسكينة وتطاير الروح والامنيات ، وما بين بقاء أحلامه الجميلة تنزف ، أنها لوحة شعرية تكاد تكون ناطقة ، وتتعالى معها صياحات النفس والأحاسيس التي استطاع الشاعر رسمها بصورة حديقة مليئة بها ، فالفنان الذي يرسم بالكلمات يكون مبدعاً في جعلها تنبض بالحياة والمشاعر.

ب: الذئب

دلالة الذئب في قصيدة الشاعر (أن تطارد وهماً) ، لم تتعد حدود الفتك والقتل ، والشراسة التي يمتلكها سراق الوطن ،فهم أشبه بالذئاب التي تترصد كل من يحاول أن يدافع عن الوطن ، فالذئاب هنا دال رمزي على الغدر والخيانة ، والعداء الذي يضمره من يحملون اللافتات ، لأنّ هم من يطاردون الوطن .

أن تطارد وهما

وإذا طاردتَ وهمَ الوطن

فأولئكَ الذين يحملونَ اللافتات

سيطردونكَ كذئابٍ شَرسَة

لأنّكَ لا تجيدُ دورَ البهلوان

ولا تحترمُ فلسفةَ الرقصِ على الحبال. (٤٩)

وفي قصيدة (الذئب) يقول الشاعر :

اجتمعَ الغزالُ والطّاووسُ والعصفور

فكانت الغابة.

ولمّا حضرَ الذّئبُ ليُكملَ المشهد،

طارَ العصفور

وهربَ الغزالُ والطّاووس

ثُمَّ لحقتهم الأشجارُكلّها،
فضاعَ كلُّ شيء. (٥٠)

لم تختلف دلالة الذئب في هذه القصيدة ، ففي حضوره لم يكتمل المشهد، وطار العصفور وهرب الغزال والطاووس ، ولحقتهم الاشجار ، فهو مصدر الخوف والرعب ، وتبدد الأمنيات والسعادة ، والسبب في الضياع ، فقد حمل لفظهُ ، مكنوناً دلالياً أفصح عن معناه من خلال السّياق الوارد فيه ، حيث نجد الشاعر قد أجهد نفسه في صياغة الصور ، وتوزيع الدوال الحيوانية فيها ، فالقصيدة مع قصرها وقلة أبياتها ، إلا أنها نسيج أدبي، قد تلاحقت الصور فيه بحركتها المتوالية ، وكان تحريك الجمادات ، أوضح بشاعة صورة الذئب وما تنطوي عليه صورته من سلبيات ، فالصور في شعر أديب كمال الدين تأتي متلاحقة الدفعات تقصر وتطول سريعة الالتفات ، كثيرة التحول ، وكأنها تتساءل عن سرها وعن وصفها وعن هيأتها (٥١)

ج-الصقر:

الصقر يرمز للقوة ، والسرعة في الانقضاض على فريسته ، لذا شبه الشاعر الحب به ، وكونه صقراً مُدهشا ، ونظراته الحادة ، ومخالبه القوية التي أحدثت فيه جروحاً ، لكن ليس هذا الحب الذي كان يتمناه الشاعر أو يحلم به ، بل كان يحلم بحب سعيد فيه من السلام ، على شكل بلبل عذب الالحان أو حمامة مسالمة ، لكن عندما لم يجد ما كان يحلم به في غابة عمره كما أسماها تمنى أن يعود الحب له بكل جراحاته وشدته، فقدرة الشاعر أديب كمال الدين في تأليف الصور وتنقلاته في الأحداث ، واستعاراته الرائعة لمشاعره واحاسيسه جعلها تتجسد كصور ذهنية مشاهدة ، ومتأملة لدى المتلقي ، فكان جاءت مشبعة بالحركة ، في عالم متخيل يفيض بالدلالات.

وفي قصيدة (صقر): يقول:

خفتُ من حُبّكِ حينَ حَطَّ على قلبي
صقراً مُدهشاً.
خفتُ من نظراتهِ الحادّةِ المُضيئة
بما لا يُقال،
ومن مخالبهِ التي جرحتني
جُروحاً طوال.
فأبعدتُهُ سريعاً سريعاً.
كنتُ أحلمُ بحُبٍّ
على شكلِ بلبلٍ أو حمامة.
وإذ مرّتِ السنين
تركضُ ليلَ نهار،

ولم أرَفي غابةِ عمري

بلبلاً أو حمامة،

تمنّيتُ أن يعودَ صقرُكِ لي

رغمَ أنّ آثارَجروحه لم تزلْ ظاهرة

فوقَ روحي وقلبي. (٥٢)

د-الثعلب والنمر:

الثعلب يمثل الذكاء والدهاء، وأحيانًا الخداع. يمكن أن يعبر عن الجوانب المتعددة للطبيعة البشرية والقدرة على التكيف والمكر. والنمر يرمز للقوة والوحشية ، وقد وردا في قصيدة (كلُّ شيء يتمرأى بك)، يقول:

مرحى أيّها الحرف؛

كلُّ شيءٍ يتمرأى بك

ويسمو معَ سرّك

ويرقصُ معَ أسطورتك.

مرحى أيّها الحرف؛

أيّها الغامضُ كالغيمة

والمُوحشُ كالسجن

والمُرعبُ كالزلزال

والرّ اقصُ كالمطر

والشّهو انيّ كالنهد

والوحشيّ كالنمر

والغاضبُ كالذئب

والمُحيّرُكالثعلب

والمُتسائِلُ كالطفل

والطّائرُكاللقلق! (٥٣)

ففي هذه القصيدة شبه حرفه بأنواع الحيوانات ، وقد أخذ منها صفاتها ، فهو الوحشي كالنمر ، والمحير كالثعلب ، والطائر كاللقلق ، فهنا تماهى حرف الشاعر، وصوره تتعدد مع مشاعره عندما يطلق لها العنان ، فتأخذ من كل شيء صفةٍ تميزه ، فحرف الشاعر ونقطته هي سر الوجود ، وهنا يكمن قدرة الشاعر في خلق الصور و انزياحها في قصائده ، فكلما ازدادت درجة الانزياح حدة ، كانت المفارقة أشد عمقاً وأكثر فاعلية في تكثيف الدلالات ، وتعميق معطياتها الايحائية ، عبر انفجار النص إلى ما هو أبعد من المعاني الثابتة في حركة مطلقة من المعاني اللانهائية والتي تنتشر فوق النص متجاوزة كل الحواجز (٥٤)

هـ- الأفعى:

وردت الأفعى في قصيدتين من المجلد السابع ، الاولى :(وصولا إلى). : الثانية (حوار مع الأفعى التي سرقت عشبة كلكامش).

في قصيدة (وصولا إلى) :

وخامسةً مثل كلكامش

يشربُ ليلَ نهار

من كأسِ خيبتهِ الكبرى

بعدَ أن سرقت الأفعى

عشبتَه المُذهلة،

وسادسةً

وسابعةً

وثامنةً

وتاسعةً

و

و

و

وصولاً إلى الصّفر: ملكِ الأجوبة! (٥٥)

فكثيراً ما يرد ذكر هذه الأفعى في دواوينه ، فدلالة الأفعى لم تتعد الغدر وسرقة سرد الخلود ، فهي في انعكاساتها دليل على الخيبة والضياع بعد أن اقترب من الوصول .

ويقول في قصيدة (حوار مع الأفعى التي سرقتْ عُشبةَ كلكامش):

وجدتُها ذاتَ أسطورة.

كانتْ نائمةً فوقَ الرمل،

كانتْ، بالأحرى، تتظاهرُبالنوم.

ولأنّي كنتُ مَفتوناً بالدنيا وبكلكامش

فلم أفزع منها،

بل قلتُ لها:

أحقّاً سرقتِ عُشبةَ الخلودِ من كلكامش

وتركتِه ليواجَه خيبتَه الكبرى؟

رفعتِ الأفعى رأسَها،

وقالتْ: نعم.

قلتُ: كم أنا محظوظ إذ ألقاكِ!

أريدُ من سِرِّ خلودِكِ شيئاً!

قالتْ: يا هذا لا خلودَ لكَ أبدا

إلّا أن تحملني حولَ عنقكَ ليلَ نهار،

وتتحمّل غضبي ونَزَواتي

حتّى أنّي قد ألتفّ

على عنقِكِ حينَ أشاء!

قلتُ مرعوباً: لا لا لا.

قالت: لم يبقَ أمامكَ إلّا أن تتبعني

إنْ شئتَ شيئاً من سِرّي.

لكنّي سأتعبُكَ طوال العمر

فجِلْدي يتغيّرُ أبدا

وَنَزَواتي وطُرُقي تتغيّرُ أبدا.

فيما أنتَ ستتبعني بقدمين حافيتين

وقلبٍ مذهول.

ستحرقُكَ الشّمس

ويعذّبُكَ العطشُ، الجوع

ويمزّقُكَ الحرمان!

لا أظنّكَ تتحمّل هذا كلّه

فاغربْ عن وجهي يا هذا...

اغربْ عن وجهي يا هذا الإنسان،

والعبْ لعبةَ خيبتِكَ بعيداً عنّي

يا حفيدَ البائس كلكامش! (٥٦)

فأراد الشاعر في هذا الحوار مع الأفعى أن يدل على الخيبة التي عاشها في حياته وعكستها قصائده بحثاً عن السعادة التي كان يتمناها ، فهو كلكامش الذي سرقت منه الأفعى سر الخلود ، إلا أنه لم يحظ بالسعادة وراح يبحث عنها في أروقة الكلمات والحروف .

النتائج:

١- الحيوان في شعر أديب كمال الدين ليس مجرد عنصر زينة بل هو رمز غني بالدلالات العميقة التي تعبر عن جوانب مختلفة من التجربة الإنسانية، من خلال الحيوانات، يتمكن الشاعر من توصيل أفكاره ومشاعره بطرق مبتكرة وملهمة، مما يجعل شعره مساحة غنية للتأمل والفهم العميق.

٢- الطائر رمز الحرية والتحرر: غالبًا ما يستخدم الطائر كرمز للحرية والتحرر من القيود الأرضية. يمكن أن يمثل أيضًا الروح الطائرة التي تبحث عن معنى أو غاية أعلى.

٣- يستعمل أديب كمال الدين الحيوانات أيضًا لتعزيز الوصف الحسي في شعره، مما يضفي على قصائده أبعادًا وجدانية غنية. فالحيوانات في شعره ليست مجرد كائنات، بل هي تجسيد للمشاعر والذكريات والأحاسيس.

٤- استعمل الشاعر الحمامة كرمز للحب والسلام ، اما اللقلق كان دليل مواجهة المصاعب .

٥- امتلك الحيوان حضورا واسعا في مجلد الشاعر بوصفها رمزاً في قصائده ، وهذا يعني أن للشاعر قدرة في توظيفه ، ليشع بدلالات أوسع .

٦- كانت الحيوانات الأليفة هي أكثر حضوراً في المجلد السابع ، وهذا يؤكد رغبة الشاعر في السلام الروحي ، والحياة السعيدة، وتوق نفسه للطيران في الملكوت الأعلى ، لذا رأينا للطير حضوراً أوسع من غيره.

٧- كانت دلالة الحصان معاكسة لما ألفناه عن استعمالات الشعراء المعاصرين تماما فقد رسمه بطريقة سريالية فتحت باب التأويل واسعا لفهم ما أراده.

٨- كان لتوظيف الضفدع في قصائده اثرا واضحا في ترسيخ دلالة التحول المرجو ، وفي خلق صور حركية ممزوجة بالصوت مع توالي الدلالات. فالشاعر يستخدم الحيوانات كرموز للتعبير عن مفاهيم روحية وفلسفية عميقة. ففي قصيدته "الضفدع"، يمكن رؤية الضفدع كرمز للتحول والتغيير، أما السلحفاة فكانت رمزا للتغير البطيء الذي تبدو عليه الرتابة مع طول السنين وتقاعس الهمم.

٩- كان حضور الحيوانات المفترسة قليلاً مقارنة بالحيوانات الأليفة ، وهذا دليل على رغبة الشاعر في حياة بعيدة عن المآسي والحروب.

١٠- أما دلالة الأفعى فلم تتعد السرقة وذهاب الآمال ، فرمزية الحية التي سرقت عشبة كلكامش نجد صداها واسعاً في قصيدته ، فهو المغترب الضائع الذي سرقت الغربة آماله ، وانتهى معها خلود الأيام في ذهنه.

واخيراً يمكننا القول إن الشاعر أديب كمال الدين يقدم شعره بأساليب مختلفة ، مباشرة أحياناً وحوارية أحياناً أخرى ، وتساؤلية تدور في فلك التنوع ، وفي كل هذه الأساليب أستطاع أن يبدع للحيوان حضورا، سواء في عناوين القصائد كالذئب، والصقر والأفعى ، أو أن يجعلها من ضمن القصائد ، فقد وشح الكلمات به كدال عميق ، متشعب الدلالات يجعل النصوص تحمل بين طياتها ما أراد الشاعر بأسلوب سهل وكلمات أقل.

الهوامش

[١]-الذئب في الأدب القديم، د. زكريا عبدالمجيد النوتي أيتراك للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط١، ٢٠٠٤ ، ص٣٢.

[٢] -ينظر : كتاب الحيوان ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، ، تحقيق وشرح ، عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي أولاده – مصر ، ط١٩٦٥،٢م ، ج١، ص٣١٢،٣١٣

[٣] رمزية الحيوان في شعر محمد حسين هيثم ، بحث مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية ، العدد(٢٥)، سبتمبر ٢٠٢٢، ص ٢٨٥

[٤] ينظر :كتاب السياب الشعري (جمع واعداد وتقديم)، حسن الغرفي، منشورات مج الجواهر ،فاس ، مطابع دار الثورة للصحافة والنشر – بغداد ص١١٦.

[٥] ينظر : قصص الحيوان في الشعر العربي القديم ، أحمد حمادي خميس (رسالة ماجستير)، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، بأشراف د. هند حسين طه ،١٤١٩هـ-١٩٩٨: ٣٢.

[٦] الأعمال الشعرية الكاملة ، أديب كمال الدين ،مج٧، منشورات ضفاف ، منشورات الاختلاف :١٤٤٥-٢٠٢٤: ٣٦.

[٧] مج٧: ١٧

[٨] مج٧: ٢٥١

[٩] ينظر :الطير رمزاً الطير رمز أدراسة في أمثلة من الشعر العربي الحديث، أ.دسمير كاظم خليل وم.ياسر عمار مهدي ، مجلة ديالى ، العدد الثالث والسبعون ،٢٠١٧:ص ٣٣٦.

[١٠] الصوائت والمعنى في العربية(دراسة دلالية ومُعجمية)محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة ،٢٠٠١م:٩.

[١١] مج : ٢٨١.

[١٢] مج ٧: ٧٠.

[١٣] صوّر المثقف : ادورد سعيد ، غسان غصن (مترجماً)، بيروت ، دار النهار ، ١٩٩٦: ٥٨

[١٤] مج٧: ٤٥.

[١٥] ينظر : (فهم الذات في قصائد الشاعر الحروفي أديب كمال الدين)، جريدة الزوراء ٢٤ تشرين أول ٢٠١٩.

[١٦] مج ٧: ٢٥٥.

[١٧] تشكيل الصورة وانزياحها في شعرأديب كمال الدين، د. علي الزيدي ، م.م مها يوسف عاجل ، موقع الفكر ، ٨ شباط ، فبراير ٢٠١٥

[١٨] مج ٧: ٤٨.

[١٩] مشهد الحيوان في القصيدة الجاهلية ، حسين جمعة، دار رسلان ، للطباعة والنشر ، ٢٠١٠: ٦٢

[٢٠] مج٧: ١٩٤.

[٢١] مج٧: ١٤٦.

[٢٢] مج ٧: ١١٩

[٢٣] ينظر : (شعرية النقطة والحرف في شعر أديب كمال الدين)، د.سعد التميمي ، جريدة الصباح الجديد: ٧حزيران :٢٠٢٣.

[٢٤] مج ٧: ٢٧٦.

[٢٥] مج٧: ١٥٧.

[٢٦] ينظر : (انكسرت المرآة فتدفق البجر)، محمد محمد السنباطي : جريدة الوطن الجزائري ٢٠ تموز – يوليو ٢٠١٥

[٢٧] مج ٧: ٢٧٣.

[٢٨] مشهد الحيوان في القصيدة الجاهلية ، حسين جمعة دار رسلان، للطباعة والنشر ،٢٠١٠: ٦١

[٢٩] مج٧: ١٦٦.

[٣٠] مج ٧: ٢٨.

[٣١] حياة الحيوان الكبرى : الدميري : ج٢/٢٠٢.

[٣٢] ينظر : المرشد في فهم اشعار العرب ، عبدالله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب (ت١٤٢٦هـ): الناشر : دار الآثار الاسلامية،وزارة الاعلام الصفاة –الكويت ،ط٢سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م: ج١٥٢/٢.

[٣٣] مج ٧: ٢٣.

[٣٤] مج ٧: ٢١١.

[٣٥] ينظر : المعاني الكبيرة في أبيات المعاني : حمزة بن حسن الاصبهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٨٤:٢٦٤، وينظر : حياة الحيوان الكبرى : محمد بن موسى الدميري ، القاهرة ، مصر ،١٥١/١٨٩١:٢، وينظر :الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة : للاصبهاني ، مع عبد المجيد قطامش، القاهرة ، ١٩٧٢م: (٢٤٩/١-٢٥٠).

[٣٦] مج٧: ٢١.

[٣٧] أديب كمال الدين : حرف غرد في منفى ، جريدة كل اللأخبار ١٧ آذار ٢٠١٦.

[٣٨] مج٧: ١١١.

[٣٩] مج ٧: ٢٧١.

[٤٠] مج٧: ٢٣٩.

[٤١] مج ٧: ٢٨٠.

[٤٢] خاتمة قصيدة الومضة دراسة تحليلية ، اماني الحفناوي ،مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم مج ١٤، ع١(يناير)٢٠٢٢

[٤٣] نماذج حصرية –للنهايات المفاجئة في الومضة القصصية، نماذج حصرية ، شريف عابدين ، اخبار الأدب ، صفحة إبداعات ٢٠٢٠.

[٤٤] مج٧: ٢٨٥.

[٤٥] السمك يسبح في الشعر السنوي / محمد شهاب ، مقال على الرابط kenanaonline.com

[٤٦] مج ٧: ٢١٠.

[٤٧] مج ٧: ١٢٥.

[٤٨] -مج٧: ١٧٥.

[٤٩] مج٧: ١٧.

[٥٠] مج٧: ٢٧٧.

[٥١] ينظر : توترات الابداع الشعري ، حبيب مؤنسي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ط١، ٢٠٠٩ : ٨٩ . ن

[٥٢] مج ٧: ٧١.

[٥٣] مج٧: ٢٧٠.

[٥٤] فلسفة الجما ل في فضاء الشعرية العربية المعاصرة : عبد القار عبو ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط١، ٢٠٠٧م ١٢٥، و اسلوبية التسكيل الشعري المعاصر، عند أديب كمال الدين، ا.د كريمة نوماس محمد المدني ، دار أمل الجديدة ، سوريا، ط١، ٢٠٢١ : ٣١.

[٥٥] مج٧: ٨٩.

[٥٦] مج٧: ٢٤٦.

المصادر

- أديب كمال الدين : حرف غرد في منفى ، جريدة كل الأخبار ١٧ آذار ٢٠١٦.
- اسلوبية التشكيل الشعري المعاصر، عند أديب كمال الدين، ا.د كريمة نوماس محمد المدني ، دار أمل الجديدة ، سوريا، ط١، ٢٠٢١.
- الأعمال الشعرية الكاملة ، أديب كمال الدين ،مج ٧، منشورات ضفاف ،منشورات الاختلاف ،ط١، ١٤٤٥هـ-٢٠٢٤م .
- الذئب في الأدب القديم ، د. زكريا عبدالمجيد النوتي ،أيتراك للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط١، ٢٠٠٤ .

- السمك يسبح في الشعر السنوي / محمد شهاب ، مقال على الرابط **kenanaonline.com**
- الصوائت والمعنى في العربية(دراسة دلالية ومُعجمية)محمد محمد داود، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة ،٢٠٠١م.
- الطير رمزاً لطير رمزاً دراسة في أمثلة من الشعر العربي الحديث، أ.دسمير كاظم خليل وم.ياسر عمار مهدي ، مجلة ديالى ، العدد الثالث والسبعون :٢٠١٧
- المرشد في فهم اشعار العرب ، عبدالله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب (ت١٤٢٦هـ): الناشر : دار الآثار الاسلامية ،وزارة الاعلام الصفاة –الكويت ،ط٢سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- المعاني الكبيرة في أبيات المعاني : حمزة بن حسن الاصبهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٨٤.
- انكسرت المرآة فتدفق البجر، محمد محمد السنباطي : جريدة الوطن الجزائري ٢٠ تموز – يوليو ٢٠١٥.
- تشكيل الصورة وانزياحها في شهر أديب كمال الدين د. علي الزيدي ، م.م مها يوسف عاجل ، ، موقع الفكر ، ٨ شباط ، فبراير ٢٠١٥.
- توترات الابداع الشعري ، حبيب مؤنسي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ط١، ٢٠٠٩
- حياة الحيوان الكبرى : محمد بن موسى الدميري ، القاهرة ، مصر ،٢:١٥١/١٨٩١ ، --:الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة : للاصبهاني ، مع عبد المجيد قطامش ، القاهرة ، ١٩٧٢م.
- خاتمة قصيدة الومضة دراسة تحليلية ، اماني الحفناوي ،مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم مج ١٤، ع١(يناير)٢٠٢٢.
- رمزية الحيوان في شعر محمد حسين هيثم ، بحث مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية ، العدد(٢٥)، سبتمر ٢٠٢٢، ص ٢٨٥
- شعرية النقطة والحرف في شعر أديب كمال الدين، د.سعد التميمي ، جريدة الصباح الجديد: ٧حزيران :٢٠٢٣.
- صوّر المُثقَّف : ادوارد سعيد ، غسان غصن (مترجما): بيروت ، دار النهار ،١٩٩٦ .
- فلسفة الجمال في فضاء الشعرية العربية المعاصرة : عبد القار عبو ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط١، ٢٠٠٧م .
- فهم الذات في قصائد الشاعر الحروفيّ أديب كمال الدين ، جريدة الزوراء ، ٢٤تشرين أول ٢٠١٩.
- قصص الحيوان في الشعر العربي القديم ، أحمد حمادي خميس (رسالة ماجستير)، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، باشراف د.هند حسين طه ،١٤١٩هـ-١٩٩٨.
- كتاب الحيوان ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، كتاب الحيوان ، تحقيق وشرح ، عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي أولاده – مصر ، ط٢،١٩٦٥م .
- كتاب السياب الشعري حسن الغرفي (جمع وأعداد وتقديم)، ، منشورات مجاة الجواهر ،فاس ، مطابع دار الثورة للصحافة والنشر – بغداد .
- مشهد الحيوان في القصيدة الجاهلية حسين جمعة ، ، دار رسلان، للطباعة والنشر ،٢٠١٠.
- نماذج حصرية –للنهايات المفاجئة في الومضة القصصية، شريف عابدين ، اخبار الأدب ، صفحة إبداعات ٢٠٢٠.

Sources

- Adib Kamal al-Din: A Letter Chirped in Exile, Al-Akhbar Newspaper, March 17, 2016
- The Stylistics of Contemporary Poetic Formation, by Adib Kamal al-Din, Dr. Karima Numas Muhammad al-Madani, Dar Amal Al-Jadida, Syria, 1st edition, 2021.
- Complete Poetry Works, Adib Kamal al-Din, Volume 7, Dhafaf Publications, Al-Ikhtilaf Publications, 1st edition, 1445 AH - 2024 AD.
- The Wolf in Ancient Literature, Dr. Zakaria Abdul Majid Al-Nouti, Aitrak Publishing and Distribution – Cairo, 1st edition, 2004.

- Fish Swimming in Annual Poetry / Muhammad Shihab, Article available at kenanaonline.com
- The Vowels and Meaning in Arabic (A Semantic and Lexical Study) by Muhammad Muhammad Dawood, Dar Gharib for Printing, Publishing, and Distribution, Cairo, 2001-
- The Bird as a Symbol: A Study of Examples from Modern Arabic Poetry, Dr. Samir Kazem Khalil and Mr. Yasser Ammar Mahdi, Diyala Magazine, Issue Seventy-Three: 2017.
- The Guide to Understanding Arab Poetry, Abdullah bin Al-Tayyib bin Muhammad bin Ahmad Al-Majdhoub (d. 1426 AH): Publisher: Dar Al-Athar Al-Islamiyyah, Ministry of Information, Al-Safaat – Kuwait, 2nd edition, 1409 AH - 1989 AD.
- The Great Meanings in the Verses of Meanings: Hamza bin Hassan Al-Isfahani, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st edition, 1984: 264.
- The Mirror Broke and the Sea Overflowed, Muhammad Muhammad Al-Sunbati: Al-Watan Al-Jazairi Newspaper, July 20, 2015.
- The Formation of the Image and Its Displacement in the Poetry of Adib Kamal al-Din, Dr. Ali Al-Zaydi, Ms. Maha Youssef Ajal, Al-Fikr Website, February 8, 2015.
- Tensions of Poetic Creativity, Habib Mounsi, Arab Writers Union, Damascus, 1st edition, 2009.
- The Great Book of Animals: Muhammad bin Musa Al-Damiri, Cairo, Egypt, 1891: 2/151, --: The Precious Pearl in Common Sayings: By Al-Isfahani, with Abdul Majid Qatamesh, Cairo, 1972
- The Conclusion of the Poem of the Flash: An Analytical Study, Amani Al-Hafnawi, Faculty of Arts Journal, Fayoum University, Vol. 14, No. 1 (January) 2022.
- The Symbolism of Animals in the Poetry of Muhammad Hussein Haytham, Research in the Journal of Educational Sciences and Human Studies, Issue (25), September 2022,.
- The Poetics of the Point and Letter in the Poetry of Adeeb Kamal Al-Din, Dr. Saad Al-Tamimi, Al-Sabah Al-Jadeed Newspaper: June 7, 2023.
- The Images of the Intellectual: Edward Said, Ghassan Ghosn (Translators): Beirut, Dar Al-Nahar, 1996.
- The Philosophy of Beauty in the Space of Contemporary Arab Poetics: Abdul Qareeb Abou, Arab Writers Union, Damascus, 1st Edition, 2007.
- Understanding the Self in the Poems of the Letter Poet Adeeb Kamal Al-Din, Al-Zawraa Newspaper, October 24, 2019.
- Animal Stories in Ancient Arabic Poetry, Ahmed Hamadi Khamis (Master's Thesis), Faculty of Arts, Al-Mustansiriya University, supervised by Dr. Hind Hussein Taha, 1419 AH - 1998.
- The Book of Animals by Abu Othman Amr ibn Bahr Al-Jahiz, Book of Animals, Edited and Explained by Abdul Salam Muhammad Haroun, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Press - Egypt, 2nd Edition, 1965.
- The Poetic Book of Al-Sayyab by Hassan Al-Gharafi (Compiled, Edited, and Presented), Al-Jawahir Publications, Fes, Al-Thawra Press and Publishing - Baghdad.
- The Scene of Animals in Pre-Islamic Poetry by Hussein Jumaa, Dar Raslan for Printing and Publishing, 2010.
- Exclusive Models for Sudden Endings in the Flash Story, Sharif Abidin, Literature News, Creativity Page 2020.